قرطاس

▪ أحمد عبد الحسين

مزرعة لتفقيس بَطل!

أكثر من أيّ وقت مضى، يبدو الدعاة اليوم كأنهم يمزقون تأريخ حزب الدعوة ليرقّعوا تأريخ المالكيّ. فهذا الحزب الذي أسس في النصف الثاني من خمسينات القرن المنصرم يقف اليوم على المحكّ بين مسيرة قيل فيها الكثير وسيقال أكثر لكنّ الناس مجمعة على عظم تضحياته، وبين محنته التي هو فيها الآن بعد أن صار شخص واحد إشكاليّ هو الاسم الآخر لهذا الحزب والمسيرة والتأريخ والتضحيات.

كلما عمل أفراد حزبٍ ما على اندكاك حزبهم في شخص، كان ذلك إيذاناً باهترائه ووصوله إلى التفسّخ والانحطاط، فما أن صارت الشيوعية وستالين شيئاً واحداً حتى بطلت أهمية الحزب وأصبح مزرعة كبرى لإنتاج بطلٍ سيظهر آخر الأمر أنه أقلّ بطولة مما يدّعي هو وأتباعه، وما أن بدأ البعث بالتصاغر ليلائم مقاس شخص صدام حتى تكشفتْ على الملأ علائمُ خواء هذا الحزب وهشاشة عقيدته لصالح عملقة ديكتاتور متجبّر سينتهي لأن يكون مسخرة الدنيا كلها بعد أن سمّاه متملقوه "مفخرة العرب".

هكذا تتحطم الأحزاب: تضع تأريخها في كفة، وفي الكفة الأخرى شخص بسيط تؤسطره آلة إعلاميّة يقودها متملقون غالباً وباحثون عن مكاسب آنيّة يقودون هذا الشخص الإشكاليّ إلى الوقوف أمام مرآة تظهره عملاقاً أسطورياً، مفكراً لامعاً، سياسياً داهية، رجل المرحلة ومحقق الإنجازات، فيتقزّم الحزب أمامه وتنشأ حاشية من الطارئين يعيثون بالحزب تخريباً من أجل إعلاء صورة القائد الفرد الذي سيسقط سقوطاً مدويّاً وتنفضّ عنه جمهرة المبخرين والمطبلين، لكنْ ليس قبل أن يجعل من الحزب وتأريخه أثراً بعد عين.

حزب الدعوة، الحزب الذي كتب عنه د. سليم الحسني أنه "تمّ تأسيسه في الأصل لمناهضة الديمقراطية والوقوف بوجهها!" . راجعْ تاريخ حزب الدعوة.. أوراق غير منشورة ، ركب دابّة الديمقراطية ووصل، ويريد قائده الآن أن يذبح الدابّة التي أوصلته للحكم وجعلته القائد الفذّ الأوحد. نجح هذا الحزب في غضون سنين معدودة، في أن يجعل من نفسه مزرعة لتفقيس بَطل. أوجد بطلاً شعبوياً ذا سمات إشكالية متناقضاً لكنه كلما أوغل في بطولته بدا متنكراً لحزبه، ليس بدلالة إحراجه للحزب مرات ومرات، بل. أكثر من ذلك . بدلالة تكاثر الطارئين من أهل ثقته على حساب الرفاق من أهل الخبرة والعقيدة.

أصبحتْ "أنا" القائد هي الحزب والعقيدة، وما لم يتنبّه الدعاةُ إلى أن تأريخ حزبهم يتآكل تحت سطوة اسم البطل وظله الثقيل فإن مصيراً غير سارّ ينتظر هذا الحزب، لن يكون أقلّ فداحة من مصير سائر الأحزاب التي تمخضتْ عقوداً طوالاً فأنجبتْ قائداً أوحد سرعان ما تتكشف عوراته الكثيرة ويتهشم تمثاله فيتهشم حزبه معه.

الدعاة مدعوون لأن يوقفوا هذا التداعي، وأن لا يظهروا للناس بهذا المظهر المهين، مظهر من يمزّق تأريخه لستر عورة صنم أطارتْ الريحُ ثيابه بعيداً .. بعيداً ..

الخرافــة وعلاقتها بســيكولوجيا التطيّر (١-٢)

الواقعة:
في الأسبوع الثالث من شهر أيار هذا العام(٢٠١٢) شاعت خرافة مفادها أن طفلا نطق في ساعة ولادته محذّرا الناس من مرض خطر ..الوقاية منه لا تكون بغير الحنّاء..ثم فارق الحياة. وبحسب جريدة المدى(العدد ٢٣٨٩في ١٢/٥/٢١) "فإن الأمر تطور ليصل إلى دور العبادة،وعلم الفلك ويأخذ جوانب اقتصادية وثقافية واجتماعية".وأنها- الخرافة - "أفرغت العراق من الحنّاء وجعلت إيران تتهيأ لإرسال شاحنات حنّاء إلى العراق"بحسب الكاتب أحمد عبد الحسين..وأن سعر الكيس الواحد منه قفز من ألفي دينار إلى خمسة آلاف دينار،وان أسواق الحلة نفدت من الحنّاء..وفقا لتقرير صحفي من بابل أعده ساجدة ناهي وحيدر الحيدري.

كميات كبيرة من الحناء منتهية الصلاحية في النجف .. ربما كانت وراء إشاعة هذه الخرافة

أ.د.قاسم حسين صالح×

توطئة في التوقع

ينفرد الإنسان بأنه المخلوق الوحيد الذي يمتلك القدرة على التوقع، و نقصد بالتوقع تفسير الإنسان لما سيقع له من أحداث وما يظهر عليه من تصرّف قبل وقوعها . غير أن الناس يختلفون في طريقة تفسيرهم لما سيقع من أحداث، وفي نوع المعنى الذي يضفونه على تلك الأحداث، ومدى تأثيرها فيه أو في الآخرين .

ويمكنك تصنيف التوقع على أنواع : خير وشر ، صح وخطأ ، توقع عقلاني مقابل توقع غير عقلاني ... ولك أن تضيف أنواعا" أخرى .

وبخلاف العديد من النظريات النفسية (لاسيما الفرويدية) التي ترى أن خبرات الماضي هي التي تحدد سلوك الحاضر ، فإن التوقع يبنى على فرضية مفادها : أن الأحداث التي ستقع في المستقبل ، وليس الخبرة التي اكتسبها في الماضي ، هي التي تقرر نوع السلوك الذي يتصرف به الإنسان في زمنه الحاضر ، وأن تباين الناس في سلوكهم لا يعود بالدرجة الأولى إلى تباينهم في ما اكتسبوه من خبرات وتعليمات إنما يعود إلى تباينهم في تصنيف طبيعة الأحداث التي يتوقعونها، وطريقة تفسيرهم لها ونوع المعنى الذي يضفونه عليها .

ولا يقتصر تأثير التوقع على سلوكهم وتصرفاتهم بل يتعداه إلى ما يصيبهم من أمراض أو اضطرابات نفسية ، بمعنى أن هنالك أمراضا" نفسية تصيب الإنسان لا لسبب وراثي (جينات) أو صدمات أو خبرات في الماضي، إنما (التوقعات) بالمعنى الذي أوضحناه.

التطيّر

لقد مهدنا للتطير بتوطئة عن التوقع ، لأن التطير هو طريقة أو أسلوب في التفكير يتعلق بما سيقع للفرد من أحداث. هذا يعني أن البعد الزمني للتطير هو المستقبل، غير أن تأثيره في السلوك يظهر في الحاضر . فإذا توقعت مثلا" ، أن خاك الغائب عنك من عشر سنين سيأتي غدا"، فإن مزاج الفرح يظهر عليك اليوم ، وإذا توقعت أن صديقك الراقد في المستشفى سيموت غدا" ، فإن انفعال الحزن يظهر عليك اليوم .

بهذا المعنى فان التطير حالة سيكولوجية خالصة، من حيث أن مضمونها الرئيسي هو القلق الناجم عن احتمالات متناقضة وأحيانا حادة ، بين خوف من شرّ مرتقب وبين خير وفير آت .

ولأن التطير ينتمي إلى التفكير الخرافي، عليه يفضّل أن نعرف ما هو علمي عن هذا النوع من التفكير لتكتمل عندك الصورة .

التفكير الخرافي

إن التفكير عند الإنسان كان في الأصل خرافيا"، ونقصد بالتفكير الخرافي تفسير الظاهرة بغير أسبابها الحقيقية العلّية، أو عزو نتائج عمل معين أو حادث إلى غير مسبباته الفعلية. ويميل الرأي إلى الاعتقاد بأن الظواهر الطبيعية التي تقع خارج سيطرة الإنسان من قبيل : الأعاصير ، الزلازل ، الطوفان ، الرعد والبرق .. كان يجري تفسيرها في البدء على أنها تحدث بفعل قوى غير طبيعية ، وكان " اختلال " عقل الإنسان أو أصابته بالجنون يخضع للتفسير نفسه . فالجماجم التي وجدت فيها ثقوب صغيرة جرى تفسيرها على أنها تعود لأشخاص أصيبوا بأمراض عقلية ، وان أسلافنا الأولين كانوا " يعالجون " هؤلاء بفتح ثقوب في جماجمهم لاعتقادهم بوجود أرواح شريرة في داخلها ، وان فتح هذه الثقوب يساعد على طرد الأرواح الشريرة من أدمغتهم. وكان البابليون ينظرون إلى الإنسان " المخبول " على انه مبتلى بعفريت هو سبب مرضه ، وان هنالك روحا" أو عفريتا لكل مرض . ومثل هذا الاعتقاد كان موجودا" لدى الصينيين والإغريقيين ، الذين كانوا يعزون " الجنون " أو الشذوذ في السلوك، إلى أن الشخص تمتلكه روح شريرة بعد أن يسحب عنه الإلة حمايته له.

وكانت مثل هذه الاعتقادات والخرافات شائعة حتى في أوروبا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، وانتشر السحر والسحرة فيها حتى القرن الثامن عشر ، وهي حالة حتمية بسبب الحروب والمجاعة والأوبئة التي شهدتها أوروبا في تلك العصور.

كان ذلك حال الناس قبل نشوء العلم ، وهم معذورون عن تفكيرهم الخرافي ، لكن العذر يكون باهتا" لمن يعيش في عصر العلم ولما يزل يؤمن بالخرافه .. بل انك ترى " أكاديميين " بينهم حملة دكتوراه لديهم خرافاتهم التي يعتقدون بها . وقد يعزى السبب إلى أن خلايا دماغ الإنسان كانت قد تدربت أو تقولبت عبر ملايين السنين على التفكير الخرافي ، وأن فيها من " الترسبات " ما لا يستطيع العلم الحديث محوه ، أو لأن مصدر الخرافة في الأصل كان عقيدة شبه دينية ، على ما يرى الباحثان (انجلش وانجلش) ، أو لأنها فلكلور شعبي يحبه الناس على ما يرى الباحث " هل " ، أو إنها اعتقاد راسخ في القوى فوق الطبيعة وفي الإجراءات السحرية المخدرة من التفكير الخيالي وصارت مقبولة اجتماعيا على ما يرى " كارل يونغ " ،أو لمعاناة القهر التي يعيشها الإنسان المعاصر لاسيما في الشعوب المتخلفة التي تحكمها سلطات غير عادلة وعدم وجود حلول لمشكلاته الحياتية وتضافر وسائل الاتصال الحديثة مع وسائل الفكر الشعبي في ترويج الخرافة كما نعتقد نحن.

وسواء كانت الخرافة اعتقادا أو فكرة .. ذات مصدر ديني أو شعبي أو سحري .. فإن المهم في الأمر أن الخرافة طريقة في التفكير يعتمدها الفرد في تفسير ما حدث له أو ما سيحدث بغير أسبابه الحقيقية ، وبشكل مخالف أو مناقض للتفسير العلمي لها، على وفق مقاييس العقل والمنطق والموضوعية .

والحقيقة أن آلية التفكير الخرافي لا تختلف عن آلية التفكير العلمي من حيث أن كليهما يهدف إلى تفسير ظاهرة غامضة ، غير أنهما يختلفان من حيث أن التفكير العلمي يتوصل إلى معرفة الأسباب العلّية الفعلية للظاهرة ، فيما يعزوها التفكير الخرافي إلى أسباب لا علاقة لها بالظاهرة .

والخرافة بهذا المعنى تختلف عن الاعتقاد الخاطئ من حيث ديمومتها وتمسّك الفرد " وأحيانا" المجتمع " بها ، فيما الاعتقاد الخاطئ يكون طارئا" يتراجع الفرد عنه حين يثبت له العكس. كما تختلف الخرافة عن الشائعة التي تظهر في أوقات الحروب عادة لأنها تختفي سريعا" ، فيما الخرافة تظل مستمرة سواء على مستوى الفرد أو المجتمع.

ومع أن الفروق لا تبدو واضحة بين الخرافة والأسطورة ، ووجود تداخل بينهما ، إلا أن الأسطورة تحمل شيئا" من القداسة ونوعا" من الإيمان المطلق بها.

تختلف الخرافة عن الاعتقاد الخاطئ من حيث ديمومتها وتمّسك الفرد " وأحيانا" المجتمع " بها ، فيما الاعتقاد الخاطئ يكون طارئا" يتراجع الفرد عنه حين يثبت له العكس. كما تختلف الخرافة عن الشائعة التي تظهر في أوقات الحروب عادة لأنها تختفي سريعا" ، فيما الخرافة تظل مستمرة سواء على مستوى الفرد أو المجتمع. ومع أن الفروق لا تبدو واضحة بين الخرافة والأسطورة ، ووجود تداخل بينهما ، إلا أن الاسطورة تحمل شيئا" من القداسة ونوعا" من الإيمان المطلق بها.

والملاحظ أن انتشار الخرافات يكثر في أوقات الأزمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية ، وتعرّض المجتمع إلى أخطار مثل حدوث حرب أو توقع حدوثها . وهنالك علاقة طردية بين انتشار أو شيوع الخرافة وبين تعرّض الفرد أو الناس إلى الخوف أو القلق، وبينها " الخرافة " وبين التخلف والجهل وتدني المستوى الثقافي ، وبينها وبين إدراك الفرد أو المجتمع بعجزه عن حل مشكلة حياتية يتوجب عليه حلّها.

سيكولوجيا التطيّر

أشرنا إلى أن التطير يتعلق بالتوقع، أي بطبيعة الأحداث التي ستقع في المستقبل. أما الحالة السيكولوجية التي تتحكم بالإنسان المتطير فهي التناقض الانفعالي بين التشاؤم والتفاؤل: توقع الشر والنحس والخطر والمرض وقلة الرزق أحيانا" ، وتوقع الخير والسعد والأمن والصحة ووفرة الرزق أحياناً أخرى،في حالة تنقّل بينهما تشبه رقّاص الساعة .

ولأن الجهاز العصبي للإنسان لا يتحمل حالة قلق مستديمة فإنه لا بد من أن يبحث عن وسائل لخفض هذا القلق. ولأن الإنسان المتطير لا يمتلك سيطرة عملية وعلمية ويشعر بالعجز في السيطرة على مصيره ، وأن الواقع لا يقدّم له حلولاً لمشكلاته الحياتية ،(ونعني بالواقع هنا :السلطة السياسية ،الحكومة تحديدا)، فإن العقل الواعي " الشعور " يتعطل لديه ويكف عن التفكير في خفض قلقه وإيجاد رأس خيط شرنقة الغموض التي تلفه ، فيتولى " اللاشعور " هذه المهمة بأن يسعفه بحيلة أو آلية نفسية هي " الإسقاط " ، ونعني به ترحيل مخاوفه وقلقه على أشياء أو رموز لها دلالات تبدو له مقنعة ، مثل القدر والحظ والنصيب ...أو بإضفاء قدرة على قوة خارجية أو سماوية ، أو رمز معين ، تولّد لديه الطمأنينة بأنها ستحل له المشكلة أو تحقق له المرام .

×رئيس الجمعية النفسية العراقية

شيخ الأزهــر.. أليس التشيّع من حُرية الاعتقاد؟

د. سعد الدين إبراهيم

الحُرة، خلال ستة آلاف سنة من تاريخهم المُسجل.

تزامن ذلك مع قراءتى لتصريح في الصفحة الأولى لـ«المصري اليوم»، لفضيلة الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر، بمُعارضته القاطعة لدعوات ومُمارسات التشيّع في مصر، حفاظًا على الوحدة المذهبية لأهل السُنة والجماعة في الديار المصرية. واستغربت هذا التصريح للأسباب الثلاثة الآتية:

١- إنه صدر من رجل اشتهر بين الخاصة من أقرانه، والعامة من أقراني، بسعة العقل وسعة الصدر، وتصريحه ينم عن عكس ذلك.

٢- إن مصر، والجامع الأزهر الذي يؤمه هو تحديدًا، بناه خليفة فاطمي شيعي، لنشر تعاليم المذهب الشيعي، وهو المذهب الذي اعتنقه المصريون طواعية خلال القرون الأربعة التالية، إلى أن أعادت الدولة الأيوبية فرض المذهب السني على عموم المصريين. ولكن كما لاحظ عالم الاجتماع المصري الكبير الدكتور سيد عويس، فإن المصريين مالؤوا صلاح الدين الأيوبى بوجوههم، ولكنهم ظلّوا «شيعة» بقلوبهم. ولا أدل على ذلك من كثرة المُقدسات والمزارات الدينية «لآل البيت» (الحُسين- السيدة زينب- السيدة عائشة- السيدة نفيسة- السيدة سكينة). بينما لا توجد مثل هذه المزارات، لا من حيث العدد، ولا من حيث الأهمية، لأهل السُنّة والجماعة.

٣- أليس من حق أي مواطن حُر، أن يختار دينه، ومذهبه، وأن يُغير كلاً منهما، حيثما يتغير قلبه أو عقله؟ إن هذا الحق أقرّته الأديان. ألم نتعلم من قرآننا الكريم ومن رسولنا الأمين، أن حُرية الاختيار هي أساس «الإيمان»، فمن أراد منكم أن يؤمن، فليؤمن، ومن أراد أن يكفر فليكفر؟ ثم إن هذا حق أقره الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، في مادته السادسة.

فإذا كان ذلك كذلك، فليت لفضيلة الشيخ الأكبر، أن يُطلق تصريحًا ينم عن مشاعر رفض للاختلاف، بينما خالقنا سبحانه هو الذي أراد لنا أن نكون «شعوبًا وقبائل» لنتعارف، وأن أفضلنا عند الله أتقانا. ويتأكد نفس هذا المعنى بالحديث النبوي الشريف، أنه لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى.

والمبدأ نفسه هو الذي خلّده أمير الشُعراء أحمد شوقي في بيت واحد من إحدى قصائده:

الدين للديّان جلّ جلاله ... لو شاء ربُك وحّد الأقواما

فإذا كان الشيخ لا يقبل الاختلاف المذهبي في نفس دينه، وهو الإسلام، فكيف له أن يقبل أديانًا سماوية أخرى، مثل اليهودية والمسيحية؟ فإذا كان رافضًا لهما، فقطعًا هو رافض للأديان الإنسانية الأخرى، مثل الهندوسية والكونفوشية والبوذية والطاوية. وهو ما يعني أن الرجل يرفض ثلاثة أرباع البشرية. فالمسلمون لا يصلون إلى أكثر من ربع البشرية.

وفي ضوء ذلك، كيف يستقبل شيخ الأزهر زعماء الطوائف والأديان الأخرى؟ وكيف يبتسم في وجوههم؟ بل ويعانقهم ويحتضنهم أحيانًا؟ ألا ينطوي ذلك على نفاق بوّاح؟

إن من يعتنقون المذهب الشيعي هم ثلث مسلمي العالم، أي نحو خمسمئة مليون، معظمهم في إيران، وشبه القارة الهندية، وتركيا، وجمهوريات آسيا الوسطى. ومعظمهم مثل شيخ الأزهر نفسه، توارثوا اعتناق دينهم ومذهبهم عن آبائهم. وقلة قليلة منهم فقط، هي التي اختارت مذهبها بإرادتها الحُرة.

أكثر من ذلك، إن بعض طوائف الشيعة، وتحديدًا الطائفة «الإسماعيلية» هم أكثر المسلمين تعليمًا ودخلًا وتنظيمًا. وهم الأكثر مُشاركة في الأعمال التطوعية في البُلدان التي يعيشون فيها، سواء في شبه القارة الهندية، أو شرق وجنوب إفريقيا، أو أوروبا أو الأمريكتين.

أي أنه فضلًا عن أنه لا فضل لمسلم سُني على مُسلم شيعي إلا بالتقوى، فإن لكل المسلمين أن يفخروا بإنجازات إخوانهم المسلمين الشيعة. ومن ذلك أن أول مُسلم حصل على جائزة نوبل في العلوم في أوائل سبعينات القرن الماضي كان شيعيًا من مسلمي باكستان، من الطائفة الأحمدية، وهو الدكتور عبد الستار خان.

لقد اتصل بي صباح يوم ٢٠١٢/٥/٢٤ الأخ محمد غُنيم، من محافظة الشرقية، وهو مصري مُسلم شيعي، ليبلغني عن حادثة اعتداء مجموعة من المُتشددين على أحد إخوته من الشيعة، بل والتهديد بهدم منزله، لإجباره على إما التخلي عن مُعتقداته الدينية، وإما مُغادرة القرية.

ولا أظن أن ذلك كان ليحدث في هذا التوقيت إلا بسبب تصريحات فضيلة شيخ الأزهر، التي أطلقها منذ ثلاثة أيام. كذلك من المُفارقات أن يأتي اضطهاد بعض الناس لإخوة مواطنين في لحظة تاريخية فارقة يحتفي المصريون فيها بأول اختيار حُر لحاكمهم، لأول مرة، في تاريخهم المُسجل، منذ الملك مينا، موحّد القُطرين.

فكيف بالله على فضيلة شيخ الأزهر أن ينكر على المسلمين من أبناء مصر أن يختاروا مذاهبهم ومُعتقداتهم؟!

إنني لا أتصور أن شيخ الأزهر سيعتذر لثلاثة ملايين مصري شيعي عن تصريحاته العدائية ضدهم. ولكن أضعف الإيمان أن ينتهز أول فُرصة سانحة لإعادة تأكيد احترامه لحُرية المُعتقدات والمُمارسات الدينية لكل المصريين.

سامح الله فضيلة الشيخ..

وعلى الله قصد السبيل

عن صحيفة "التحرير"

أكتب هذا المقال صباح يوم الأربعاء ٢٠١٢/٥/٢٣، وهو اليوم الأول للانتخابات الرئاسية، وفى طريقي من منزلي بالمعادى إلى مكتبي بمركز ابن خلدون في المقطم، مررت بعدة مواقع توجد بها مراكز لجان انتخابية. وكما كُنا قد شهدنا في استفتاءات وانتخابات ما بعد ثورة يناير ٢٠١١، انتظم المواطنون في صفوف طويلة للإدلاء بأصواتهم.

وحينما وصلت إلى مركز ابن خلدون، وجدته مثل خلية نحل، حيث نحو خمسين مُتابعًا في غرفة العمليات، على صلة مستمرة بعدة آلاف من المُراقبين في ٢٥ مُحافظة من الإسكندرية إلى أسوان. وخلال الساعات الأربع الأولى لم تقع، أو لم يتم الإبلاغ عن تجاوزات حادة. وربما كان أبرز تلك التجاوزات هو استمرار الدعاية الانتخابية من أنصار د.محمد مرسي، في أفنية المدارس بمحافظتي الدقهلية والبحيرة، المخالفة لتعليمات اللجنة العليا للانتخابات، وكذا وجود عدد أكبر من المندوبين في داخل غُرف الاقتراع. ولكن عموم المشهد هو شيء تفخر به مصر والمصريون. إنها المرة الأولى التي يختار فيها المصريون حاكمهم بإرادتهم

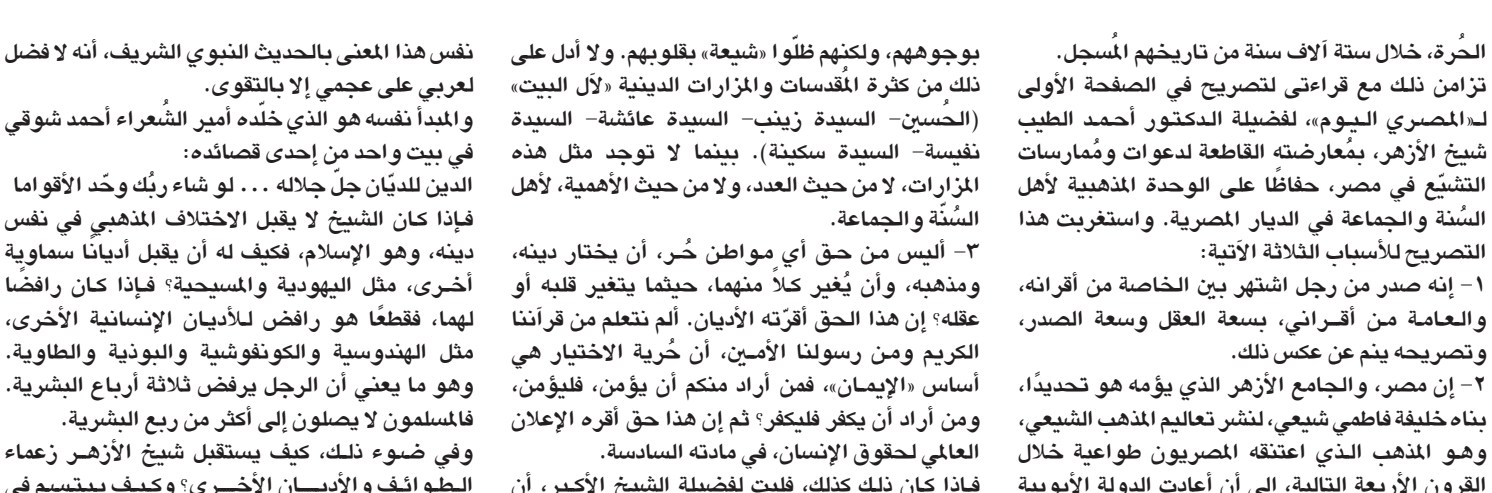

شيعة مصريون كفل الدستور حقوقهم